



تصريحات المسؤولين الأميركيين الأخيرة – وعلى رأسهم رئيسهم ترمب – بقرب نقل السفارة الأميركيكية إلى القدس؛ مقدمة مقصودة لإضفاء الصفة اليهودية الرسمية على المدينة، ومن ثم تقريب الخطر الوجودي إليها، تعجلاً بتنفيذ الخطط التلمومية التوراتية؛ وهو ما سيخلط الأوراق وربما يقلب الطاولات؛ ليعيد قضية بيت المقدس – إسلامياً – إلى واجهة الأحداث الأمامية، بعد أن حولتها تداعيات الثورات العربية إلى مسألة هامشية.

لقد عودت تلك المدينة المقدسة دورات التاريخ ألا تتجاوزها حتى تقف عندها.. ربما لتغير مسارها. فقد كانت القدس عبر تاريخها الطويل محط أنظار الموحدين ومهوى أئدلة الصالحين من أتباع الرسل فيسائر الأمم، وظلت محوراً لالتقاء أجناس البشر وأصنافهم؛ سواء في ظروف تلاقي الحضارات في أزمنة السلام، أو في خطوب تصادمها أوقات الحروب.

ولأن القدس – التي تعد أقدم مدن العالم – كانت خلال قسم كبير من عمر البشرية مهبطاً للوحي وموطناً للنبوات؛ فقد تناوبت الأمم السيطرة عليها، وتبادلـت الجيوش المتصارعة احتلالها أو تحريرها، ذلك لأن أصحاب الديانات السماوية الحقة كانوا دائماً يصطدمون بأصحاب الديانات الأرضية الباطلة، بفرض إنقاذ القدس وإعادة فتحها، فكانت تنشأ عن ذلك موجات الغزو وحملات الاجتياح؛ التي كانت مدينة القدس مسرحاً دائماً لها، بما يشهد لسنة الدفع القدرية الكونية التي يقول الله تعالى عنها: {وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعْضَهُمْ بِعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 251]، وقال: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعْضَهُمْ بِعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40]، والمعنى كما قال المفسرون: لو لا إرادة الله في مدافعة المؤمنين من أهل كل ملة كفار أمتهم بالجهاد والقتال؛ لهدمت الأماكن التي يعبد الله

تعالى فيها على ما شرعه الرسل، ولمنع الكفار المؤمنين من تعظيم شعائر الله تعالى فيها.

ظل بيت المقدس طوال تاريخه - وسيظل - عامل جذب للأباء الموحدين والأحرار الذين عن الدين، كي يواجهوا أنواع الغزارة والطغاة الذين يريدون انتهاك حرمة وتدنيس طهارته بأنواع الانحرافات الشركية والكافرية، التي يريد أولياء الشيطان في كل زمان أن يخرجوا بها الأرضي المقدسة من قدسيتها وينزعوا عنها بركتها.

إطلالة ضرورية على المسيرة التاريخية:

معلوم أن بيت المقدس اكتسب قدسيته من البيت المقدس والمسجد العظيم فيه، وهو «المسجد الأقصى» الذي صلى فيه عشرات أو مئات الأنبياء، حيث بناه أبو الأنبياء؛ إبراهيم - عليه السلام - بعد بنائه المسجد الحرام بأربعين عاماً، وقد جدده من بعده بعض الأنبياء من ذريته، ولكن سليمان - عليه السلام - بناء بناءً عظيماً يليق بنبي ملك، آتاه الله من كل شيء، ولهذا تُسبِّبُ إليه هذا المسجد - الذي يسميه أهل الكتاب بـ«الهيكل»، فقيل «هيكل سليمان». وتتابعت على هذا المسجد أحداث تاريخية كبرى، انعكست على تاريخ المدينة التي كان وجود المسجد بها سبباً في جذب الأنظار إليها.

ولن يستطيع فهم حاضر القدس، ومستقبلها وتاريخها القابل؛ من لم يُلِمْ - ولو بالخطوط العريضة - من ماضيها الحال وتأريخها العجيب. فالقدس التي تناوبت على غزوها عشرات الجيوش في مئات المعارك؛ مرت بمحطات تاريخية حرجية، كانت تمثل مفترق طرق في مسارات التاريخ، وقد تناوبت الأمم والشعوب على سكانها، إما فاتحين بالدين الحق، أو مسلطين من الله على من لم يقيموا أو يستقيموا فيها على الدين الحق.

• يرجع تاريخ القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة؛ وأطلقت عليها الأمم التي سكنتها أسماء مختلفة، فقد أطلق الكنعانيون الذين هاجروا إليها في الألف الثالثة قبل الميلاد اسم «أورساليم»، وتعني مدينة السلام أو مدينة الله السلام. وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة «أورشاليم»، التي تنطق بالعبرية «يروشاليم»، ومعناها بيت السلام المقدس، وتذكر التوراة التي ذكرت فيها هذه الكلمة 680 مرة؛ أن «ساليم» هو اسم ملك عربي، كان صديقاً لإبراهيم. ولا شك أن تاريخها الديني التوحيدية يبدأ مع هجرة إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام. وظلت ذريته تتتعاقب بها حتى نزل حفيده يعقوب (المسمى أيضاً إسرائيل) مع بنيه إلى مصر في عهد حكم يوسف عليه السلام لها. وتتابعت عليها بعد ذلك عهود حكم الموحدين وعصور سيطرة المشركين الوثنيين، لتكون تلك المدينة هي الشاهد على كل عصر؛ بمنظار ومعيار الدين في الهزيمة والنصر.

• سكنت تلك المدينة قبيلة «البيوسين» من البطون الكنعانية العربية، قبل ميلاد عيسى عليه السلام، بـألفين وخمسين عاماً وأطلقوها عليها اسم «بيوس».

• ثم خضعت لحكم الفراعنة بدءاً من القرن السادس عشر قبل الميلاد، وحتى القرن الرابع عشر، مع فترات انقطاع قليلة كان المصريون القدماء يخرجون منها ثم يعودون إليها.

• ثم أذن الله للمؤمنين من بنى إسرائيل في عهد داود عليه السلام أن يعودوا إليها بعد الخروج، في حكم توحيد خالص منذ عام 977 أو 1000 ق.م، وسميت وقتها مدينة داود، ودام حكمه لها أربعين عاماً، ثم خلفه ولده سليمان - عليه السلام - فحكمها ثلاثة وثلاثين عاماً.

• استولى العراقيون القدماء على القدس، وأخذوها من بنى إسرائيل لما بالغوا في الانحرافات والخروج عن الصراط، فقد احتلها الملك البابلي «نبوخذ نصر الثاني» بعد أن هزم آخر ملوك اليهود (صدقيا بن يوشايا) عام 586 ق.م، وأقدم هذا الطاغية على تدمير المسجد الأقصى أو «الهيكل» عام 587 ق.م، وأعمل في بنى إسرائيل القتل والأسر والسب، ونفاهم إلى

مدينة بابل، يمن فيهم الملك صدقها نفسه، وهي الفترة التي أطلق عليها تاريخياً «النبي البابلي».

- شاء الله تعالى أن يرحمبني إسرائيل بعد طول ابتلاء؛ فقد كانوا لا يزالون على التوحيد، ولكن مع انحرافات وشذوذات عن أحكام الشريعة التي جاءتهم بها أنبيائهم، وذلك في مدة كانت بلاد الفرس خاضعة فيها لحكم ملك صالح وموحد – وهو قورش الإخميني – حيث انتصر ذلك الملك على البابليين الوثنيين، وسمح لبني إسرائيل بالعودة للقدس عام 538 ق.م وأعاد بناء المسجد الأقصى.
- بعد ذلك ينحو مئتي عام استولى القائد اليوناني الوثني الإسكندر الأكبر على فلسطين والقدس عام 333 ق.م، وبعد وفاته واصل خلاؤه المقدونيون والبطالمة والسلوقيون السيطرة على المدينة، فكانت تلك المدة تحت سيطرة الحضارة الإغريقية الوثنية التي ظلت بها حتى عام 63 ق.م.
- بعد الإغريقين اليونان استولى الرومان على القدس عام 63 ق.م وضموها إلى الإمبراطورية الرومانية، واستمر حكمهم لها حتى عام 636م، لكن اليهود قاوموا الرومان، وقاموا بثورات في الفترة من 66 إلى 70 م فقمعها الحاكم الروماني «تيطس» بقوة باطشة، فأحرق المدينة وأسر آلاف اليهود، ودمر المسجد الأقصى للمرة الثانية.
- أجبر الوثنيون الروم بني إسرائيل على العيش رغمًا عنهم تحت هيمنة الحكم الروماني، إلى أن عاود اليهود الثورة والعصيان مرة أخرى في عامي 115 و132 م وتمكنوا بالفعل من السيطرة على المدينة، إلا أن الإمبراطور الروماني «هدريان» قمعهم بعنف مرة ثانية، وأخرج اليهود من القدس، ولم يُبق إلا النصارى، ثم أمر بتغيير اسم المدينة إلى «إيليا» واشترط ألا يسكنها يهودي.
- دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول في دين النصارى، وأجرى فيه تحولات شركية كبيرة، ونقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة، وأعلن النصرانية ديانة رسمية للدولة، فكانت نقطة تحول بالنسبة للنصارى في القدس حيث بُنيت كنيسة القيامة عام 326م، فكان ذلك مدخلاً لتثبيت النصارى حقاً دينياً لهم في القدس، يفوق دعوى اليهود بالحقوق الدينية والتاريخية فيها.
- بُنيت تلك الكنيسة داخل أسوار البلدة القديمة في القدس. فوق «الجلجلة» أو «الجلجة» أو «الجمجمة»، وهي مكان الصخرة التي يعتقد النصارى زوراً أن المسيح صُلب عليها. وتعد تلك الكنيسة هي الأقدس والأكثر أهمية لدى النصارى منذ بُنيت، وهي تحوي – وفق معتقد النصارى – المكان الذي دُفن فيه المسيح، ولهذا سُمِّيت كنيسة القيامة، نسبة إلى قيام عيسى من بين الأموات في اليوم الثالث من الأحداث التي أدت إلى موته على الصليب بحسب اعتقاد النصارى.
- تناحر الروم فيما بينهم، وانقسمت الإمبراطورية الرومانية عام 395 م إلى قسمين متناحرتين مما شجع الفرس على العودة لاحتلال القدس، فأغاروا عليها ونحوها فياحتلالها؛ في الفترة من 614 إلى 628 م، ثم استعادها الرومان مرة أخرى وظللت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي في العام السادس عشر للهجرة، الموافق لعام 636 للميلاد.

أكتاف بيت المقدس تحت حكم المسلمين:

آل مصير القدس إلى حكم التوحيد، بعد عصور تناوب فيها الأبرار والفجار حكمها، تبعاً لجريان السنن الإلهية القدرية على أرضها، فقبل الهجرة النبوية بعام، وفيما يوافق عام 621 م تقريباً؛ شهدت القدس زيارة سيد الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فصلى بجميع الأنبياء الذين جمعهم الله للقائه هناك؛ إذاناً بأن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة للبشر، ثم صُعد به إلى السماوات العلا.

• بعد عشر سنوات من الإسراء والمعراج؛ دخل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مدينة القدس سنة 15هـ - 638م، بعد انتصار الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح على الروم، واشترط البطريرك «صفرونيوس» راعي المدينة أن يتسلم عمر المدينة بنفسه، فقدم إليها، وكتب مع أهلها «العهدة العمرية»، وهي وثيقة منحهم حرية العبادة مقابل دفع الجزية. وغير الفاروق اسم المدينة من إيليا إلى بيت المقدس، ونصت الوثيقة ألا يسكن النصارى فيها أحد من اليهود، فهم لم يكتفوا بجحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ بل كانوا على رأس أشد الناس عداوة له ولأمته من بعده.

• اصطبغت المدينة منذ ذلك الفتح بصبغة الإسلام، وبعد عهد الخليفة الرشدة، ظلت تحت حكم الخلافة الأموية من عام 41 إلى 132 للهجرة، الموافق لـ 661 - 750م، وبنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة وأعاد بناء المسجد الأقصى بناء عظيماً.

• برغم هيمنة الحكم الإسلامي على القدس طيلة عهد العباسين (132 - 4656هـ)، ومع حمايته للمدينة المقدسة؛ إلا أنها وقعت لمدد محدودة في أيدي المبتدعة الزنادقة من الفاطميين العبيديين والقراطمة، الذين تسببوا في إضعاف قبضة المسلمين في حكمها.

سقوط القدس ثم عودتها:

• سقطت القدس في أيدي النصارى الصليبيين عام 492هـ الموافق لعام 1099م، وذلك بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي، وكان سقوطها بسبب الصراعات التي دارت بين السلاجقة وأدعية التشيع من الفاطميين، وبين السلاجقة أنفسهم. وقتل النصارى عباد الصليب فور دخولهم القدس قرابة 70 ألفاً من المسلمين وانتهكوا المقدسات الإسلامية. وأقاموا في المدينة المقدسة منذ دخولهم مملكة صليبية لاتينية يحكمها ملك كاثوليكي، وفرضوا الطقوس الكاثوليكية على النصارى الأرثوذكس من سكان المدينة.

• قيض الله الفائد صلاح الدين الأيوبي لاسترداد القدس من الصليبيين عام 583هـ الموافق لعام 1187م بعد معركة حطين، فعامل أهلها معاملة طيبة وأزال الصليب. من قبة الصخرة، واهتم بعمارة المدينة وتحصينها لكن الصليبيين استطاعوا السيطرة على المدينة بعد وفاة صلاح الدين في عهد الملك فريديريك ملك صقلية، وظلت بأيديهم أحد عشر عاماً إلى أن استردها نهايةً الملك الصالح نجم الدين أيووب.

• في عام 642هـ الموافق 1244م، غزا المغول القدس، ضمن اجتياحهم للمشرق الإسلامي، لكن المماليك هزموهم بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت عام 658هـ، وضُممت فلسطين بما فيها القدس إلى دولة المماليك الذين حكموا مصر والشام بعد الدولة الأيوبية.

• بعد زوال حكم المماليك؛ دخل العثمانيون فلسطين بقيادة السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق عام 922هـ (1616م). وأصبحت القدس مدينة تابعة للخلافة العثمانية، وأعاد السلطان سليمان القانوني بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة، لكن «محمد علي» والي مصر ضمها للدولة المصرية التي أقامها منشقاً على العثمانيين، ثم عادت إلى الحكم العثماني مرة أخرى.

• برغم محافظة العثمانيين على القدس طوال قرون حكمهم؛ فقد عزم النصارى على استعادة السيطرة عليها كي يسلموها لليهود، تحت دعاوى دينية أخرى خرافية، تدعى أن زمان عودة المسيح عيسى قد أذف، وأن من أهم أسباب التعجيل بعودته أن يعود اليهود إلى القدس، ويتخذوا من القدس عاصمة، ومن المسجد الأقصى بعد هدمه هيكلًا ثالثًا. ولم يكن تحقيق هذا

الهدف ممكناً إلا بإسقاط دولة الخلافة العثمانية التي كانت حامية لديار المسلمين ومقدساتهم، ومن ضمنها بيت المقدس.

وقعت الحرب العالمية الأولى التي أفحمت فيها تركيا، لتخرو منها مهزومة، ولاحت لليهود لأول مرة بعد غياب أفعى عام الفرصة أن يعودوا لأكتاف القدس على أكتاف النصارى، وسقطت القدس بيد الجيش الصليبي البريطاني في 8-12/9/1917م بعد البيان الذي أذاعه الجنرال البريطاني النبي، ومنت عصبة الأمم للإنجليز حق الانتداب على فلسطين، وأصبحت القدس عاصمة فلسطين ولكن تحت حكم البريطانيين لمدة ثلاثين عاماً، وعملت بريطانيا مدة انتدابها على مضاعفة أعداد المهاجرين اليهود، خاصة بعد وعد بلفور عام 1917م.

وكانت بقية دول النصارى المتحكمة في القرارات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، عن طريق منظمة الأمم المتحدة؛ قد أحالـت قضية القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب فأصدرت تلك الهيئة الدولية قرارها في 29 نوفمبر 1947م بتدويل القدس، أي جعلها تحت إدارة دولية.

القدس.. ومئة عام من الضياع:

في عام 1948م أعلنت بريطانيا إنتهاء الانتداب في فلسطين وسحبـت قواتها تاركة للعصابات الصهيونية فرصة ملء الفراغ، فاستغلـت قطـعـانـها حـالـةـ الفـرـاغـ السـيـاسـيـ وـالـعـسـكـرـيـ وأـعـلـنـتـ قـيـامـ الـدـوـلـةـ الـيـهـوـدـيـةـ. وفي 3 ديسمبر 1948م أـعـلـنـ دـيفـيدـ بنـ غـورـيونـ رـئـيـسـ وزـرـاءـ الـكـيـانـ الصـهـيـونـيـ أنـ الـقـدـسـ الـغـرـبـيـ عـاصـمـةـ «ـلـلـدـوـلـةـ الإـسـرـائـيـلـيـةـ»ـ الـولـيـدـةـ،ـ فيـ حـينـ خـضـعـتـ الـقـدـسـ الـشـرـقـيـةـ لـلـإـدـارـةـ الـأـرـدـنـيـةـ،ـ حـتـىـ هـزـيـمـةـ الـجـيـوـشـ الـعـرـبـيـةـ فيـ حـرـبـ يـونـيـوـ 1967ـمـ التـيـ أـسـفـرـتـ عـنـ ضـمـ الـقـدـسـ بـأـكـمـلـهـ لـسـلـطـةـ الـاحـتـلـالـ الصـهـيـونـيـ.ـ

وإذا كانت فلسطين قد مرـ عليها نحو سـبعـينـ عـامـاـ منـ الـاغـتـصـابـ الـيـهـوـدـيـ،ـ وـالـقـدـسـ قدـ مـضـىـ عـلـيـهاـ خـمـسـونـ عـامـاـ منـ الـاحـتـلـالـ الصـهـيـونـيـ؛ـ فـإـنـ تـلـكـ الـأـرـضـ الـمـقـدـسـةـ عـلـىـ هـذـاـ قـضـتـ مـئـةـ عـامـ منـ الـضـيـاعـ،ـ باـعـتـارـ أـنـ نـصـارـىـ الـإنـجـلـيـزـ الـذـينـ سـلـمـوـهـاـ لـلـيـهـوـدـ؛ـ قـدـ اـحـتـلـوـهـاـ لـهـذـاـ الغـرـضـ مـنـذـ عـامـ 1917ـمـ،ـ فـفـيـ عـامـنـاـ هـذـاـ (ـ2017ـمـ)ـ تـكـونـ فـلـسـطـيـنـ قـدـ أـتـمـتـ قـرـنـاـ مـنـ الـزـمـانـ تـحـتـ أـيـديـ غـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ،ـ قـتـلـ فـيـهـاـ وـعـذـبـ وـأـسـرـ وـشـرـدـ الـمـلـاـيـنـ مـنـ فـلـسـطـيـنـ وـحـولـ فـلـسـطـيـنـ.

أمـريـكاـ وـصـرـاعـ الـمـسـتـقـبـلـ عـلـىـ الـقـدـسـ:

إـذـاـ كـانـتـ بـرـيطـانـيـاـ تـحـمـلـ أـوـزـارـ جـلـبـ الأـشـارـ منـ الـيـهـوـدـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـمـقـدـسـةـ؛ـ فـقـدـ وـرـثـتـ أـمـريـكاـ مـنـهـاـ وـمـنـ بـقـيةـ دـوـلـ الـإـسـتـعـمـارـ الـأـورـبـيـ الـصـلـيـبـيـ كـلـ تـبـعـاتـ وـنـتـائـجـ الـغـارـةـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ بـعـامـةـ،ـ وـالـأـرـضـ الـمـقـدـسـةـ فـيـ الشـامـ بـخـاصـةـ،ـ حـيـثـ تـسـلـمـتـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ حـمـلـ جـبـ الـحـمـاـيـةـ وـالـرـعـاـيـةـ لـكـيـانـ الـيـهـوـدـ ضـدـ مـجـمـوـعـ الـمـسـلـمـيـنـ،ـ فـخـالـلـ كـلـ الـحـرـوبـ الـتـيـ شـنـتـهاـ الـدـوـلـةـ الـصـهـيـونـيـةـ عـلـىـ الـأـرـاضـيـ الـعـرـبـيـةـ؛ـ كـانـتـ أـمـريـكاـ تـقـفـ بـلـاـ حـدـودـ وـتـؤـيـدـ بـلـاـ تـحـفـظـ أـيـ خـطـوـةـ يـقـدـمـ عـلـيـهاـ الـيـهـوـدـ لـلـمـزـيدـ مـنـ إـهـانـةـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـهـيـمـنـةـ عـلـىـ مـقـدـسـاهـمـ،ـ وـذـلـكـ خـالـلـ سـنـيـ ماـ كـانـ يـسـمـيـ بـالـصـرـاعـ «ـالـعـرـبـيـ -ـ إـسـرـائـيـلـ»ـ،ـ بـمـراـحـلـهـ الـعـسـكـرـيـةـ،ـ وـمـحـطـاتـهـ الـتـفـاـوـضـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ.

وـلـأـنـ الـحـدـيـثـ يـطـوـلـ فـيـ ذـلـكـ؛ـ فـسـوـفـ نـقـصـرـ فـيـ هـذـاـ المـقـالـ عـلـىـ الـمـشـهـدـ الـأـخـيـرـ مـنـ الـمـوـقـفـ الـأـمـريـكيـ مـنـ الـقـدـسـ وـقـضـيـتهاـ الـمـزـمـنـةـ وـالـراـهـنـةـ،ـ وـكـيـفـ أـنـهـ هـذـاـ المـوـقـفـ أـعـادـ نـكـأـ الـجـرـاحـ،ـ وـكـرـرـ التـحـذـيرـ مـنـ خـطـرـ الـتـوـجـهـاتـ الـأـمـريـكـيـةـ الـحـالـيـةـ،ـ الـتـيـ تـغـلـبـ عـلـيـهاـ الـمـسـحـةـ الـيـهـوـدـيـةـ وـالـخـلـفـيـةـ الـتـوـرـاتـيـةـ،ـ مـهـمـاـ اـكـتـسـبـتـ بـصـيـغـ الـدـبـلـوـمـاـسـيـةـ،ـ أـوـ اـكـتـسـبـتـ صـبـغـةـ الـعـلـمـانـيـةـ الـحـيـادـيـةـ.ـ فـمـنـذـ صـدـرـ قـانـونـ الـكـوـنـفـرـسـ الـأـمـريـكيـ بـنـقـلـ السـفـارـةـ الـأـمـريـكـيـةـ إـلـىـ الـقـدـسـ،ـ وـالـذـيـ صـدـرـ فـيـ 8ـ نـوـفـمـبرـ 1995ـمـ؛ـ وـالـرـؤـسـاءـ الـأـمـريـكـيـونـ الـمـتـعـاقـبـونـ يـؤـجـلـونـ تـنـفـيـذـهـ خـوـفـاـ مـنـ عـوـاقـبـهـ وـتـدـاعـيـاتـهـ الـمـحـتمـلـةـ وـغـيرـ الـمـحـسـوـبـةـ عـلـىـ الـيـهـوـدـ،ـ وـعـلـىـ الـأـمـنـ الـقـومـيـ الـأـمـريـكـيـ

نفسه، لكن الرئيس الأمريكي الحالي (دونالد ترمب) الذي جعل نقل السفارة للقدس أحد وعده الانتخابية، ظل يكرر هذا الوعود؛ وقد ألمح - بل صرخ - بأن المستوطنات الصهيونية في القدس لا تشكل عقبة في طريق السلام، وهو يلح على أن الواجب على الفلسطينيين ليس محاربة الاحتلال اليهودي لفلسطين؛ بل عليهم التتعهد بالاستمرار في محاربة ما أسماه «الإرهاب الإسلامي» داخل فلسطين، قبل مناقشة أي اتفاقية للسلام. وكان قد عارض إجراءات التي عرضت على مجلس الأمن بشأن الحد من بناء المستوطنات قبل تسلم منصبه، محاولاً الضغط على إدارة أوباما لاستخدام حق الفيتو لرفضها.

ترمب لم يكتف بإظهار عواطفه الحارة تجاه اليهود؛ بل عين فريقاً من ناشطي الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية لتولي ترتيبات عملية السلام التي يراها، ومن ضمن هؤلاء زوج ابنته اليهودي، الذي تهودت ابنته ترمب بناء على رغبته؛ حيث قال له: «إذا لم تستطع تقديم السلام في الشرق الأوسط، فلن يفعل أحد ذلك».

ورشح ترمب صديقه المشهور بـ«صهيونيته» «ديفيد فريدمان» سفيراً لدى الكيان الصهيوني، وهو معروف بحماسه لنقل السفارة للقدس ودعمه القوي لبناء المستوطنات فيها، إلى الحد الذي جعله يتبرع سنوياً لدعمها وتوسيعها، وقد طلب ديفيد إقامة في القنصلية الأمريكية بالقدس، حتى قبل نقل السفارة! في نوع من التحايل الماكير، لأن المكان الذي يعمل به السفير يعد هو السفارة، وليس المبنى نفسه.

تدل الشواهد الظاهرة على أن ترمب يريد تغيير قواعد اللعبة فيما يسمى عملية السلام بنقل السفارة من تل أبيب، وقد ينقلها القدس الغربية، تاركاً لحكومة الاحتلال تدبّر نقلها فيما بعد إلى القدس الشرقية، وفق إستراتيجيتها المعلنة في توحيد شطري المدينة لتكون عاصمة موحدة للكيان الصهيوني كما يردد زعماء اليهود المتعاقبون! وهو بهذا يريد لـ«وعد ترمب» في العام 2017م أن يحقق الهدف الذي صدر من أجله «وعد بلفور» في عام 1917م!

ماذا يعني تحويل القدس إلى عاصمة لليهود؟

سيعني ذلك أولاً أن اليهود - وبخاصة المتدينين - سيدخلون مرحلة من الانتعاش الديني، والهوس التلمودي والحمى الخلاصية المسيحانية، لأنهم عندما تصبح القدس عاصمة رسمية لدولتهم التوراتية؛ يكونون قد دخلوا على اعتاب تاريخ النهاية الذي يمهد لخروج مسيحهم المخلص، الذي تواتر في أدبيات الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية معاً؛ أنه لن يخرج إلا بعد إنجاز منظريه خطوات عملية محددة:

أولها: أن تصبح «إسرائيل» دولة.

ثانيها: أن تكون القدس عاصمة لها.

ثالثها: أن يعاد بناء هيكل سليمان الثالث مكان المسجد الأقصى.

وسيكون نقل السفارة الأمريكية بمثابة إعطاء ضوء أخضر للإصرار اليهودي على التشدد في الملفات ذات البعد الديني، لأنه سُتُّوِّج في النهاية سياسة الأمر الواقع التي فرضها اليهود ولا يزالون يفرضونها على ما يُسمى بالشرعية الدولية.

ستكون مسألة التوقيع على اتفاق سلام بين الفلسطينيين والصهاينة في حكم الملف، لأنه لن يبقى للفلسطينيين عندها ما يتفاوضون لأجله، كما قال إسحاق شامير رئيس الوزراء الاحتلال الأسبق قبل ربع قرن. فعملية السلام القائمة على حل الدولتين؛ قامت في نظر العرب على افتراض أن تكون القدس عاصمة للدولة الفلسطينية.

سيزيد هذا القرار الطائش المتوقع من التغول اليهودي الاستيطاني فيما تبقى من أراضي الفلسطينيين في القدس، حيث

بلغت نسبة تهويد مدينة القدس بنزع الملكية والاستيلاء الحكومي وغير الحكومي إلى حد كارثي، حيث أصبح عرب فلسطين لا يسيطرون إلا على نحو 13% من مساحة القدس، ويهدف الكيان الصهيوني إلى تخفيض نسبة السكان العرب الحالية من 34% إلى 12% بحلول عام 2020م.

ستقضي توجهات ترمب الحالية على المعارضة الدولية - الشكلية في معظمها - لتحويل القدس إلى عاصمة للكيان الصهيوني، لأن ذلك سيدمّر الاتفاقية الدولية بشأنها، والتمثلة في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181، الصادر عام 1947م، والذي يؤكد على بقاء القدس كياناً منفصلاً عن «إسرائيل»، وستصبح الولاية الأردنية على المقدسات الإسلامية عند نقل السفارة حبراً على ورق، وهو ما سيُعد أيضاً إلغاءً عملياً للمادة التاسعة من معاهدة السلام «الأردنية - الإسرائيلية» عام 1994م.

ستضاعف الولايات المتحدة بهذه الخطوة العداء المتنامي ضدها بين شعوب العالم الإسلامي، الذي يمثل كتلة بشرية تساوي ربع سكان العالم. وستصبح الولايات المتحدة طرفاً مباشراً في الصراع الديني على بيت المقدس، بعد أن حرصت طويلاً على الظهور بمظهر الحياد، وتمسكت دائماً بدور الوسيط.

قضايا «الوضع النهائي» المؤجلة في مفوضات السلام بين العرب و«إسرائيل» وعلى رأسها مصير القدس؛ والتي تجري منذ ثلاثة عقود؛ سيكون «الوضع النهائي» لها منتهياً لحساب اليهود، تماماً كما كان مخططاً للمفاوضات، التي رُسمت مساراتها لخداع الأجيال وتضييع الأعمار وقضاء الأوقات.

ستثبت هذه الخطوة وضعاً رسمياً يهودياً للقدس باعتبارها عاصمةً لدولة معترف بها دولياً، وهو ما سيجعل كل إجراء يقوم به اليهود في تلك المدينة مشروعًا قانوناً، بما في ذلك هدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه.

«خريطة طريق السلام» التي تولت أمريكا إدارة مساراتها منذ مؤتمر مدريد للسلام عام 1991م سيطويها اليهود انسفأً بخراط حرائق أخرى نحو الحرب مع العرب والمسلمين.

سيزيد هذا الإجراء - في حال تفويذه - من تنامي روح التصub الدينى العنيف لدى شباب الجماعات الدينية اليهودية المسلحة، وهو ما سيقابل بمزيد من التحاق الشباب المسلم بطريق الجماعات الإسلامية المسلحة، حيث لن يرى هؤلاء أفقاً مؤثراً لتغيير مسار الغارة اليهودية الصليبية إلا من خلال ذلك الطريق.

هذا، ويحتفل اليهود كل عام بما يسمى «عيد استعادة القدس»، وكثير من المراقبين يتوقعون أن يلقي ترمب بقنبلة نقل السفارة في هذا اليوم الذي سيكون فيه ضيفاً على صديقه الحميم نتنياهو، في زيارة رسمية تعد الأولى، من راعي الحملة الصليبية على الديار المقدسة الشامية!

قد تصدق التوقعات كلها حرفياً؛ أو قد يؤجل بعضها ويعجل ببعضها جزئياً.. لحسابات أو تداعيات غير متوقعة؛ لكن المؤكد أن اليهود عازمون في حقبة إفسادهم الثاني؛ أن يستكملوا مسيرة العلو الكبير لأحفاد وبقایا بنی إسرائيل، التي أخبر عنها التنزيل الإلهي الحكيم في قول الله سبحانه: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤]، ولكن الذي أخبر بعلوهم الكبير وإفسادهم الثاني؛ هو أعلمنا بعلمه الغيب أنه سيخرجهم من الأرض المقدسة كلها بلا ريب، وإلى غير عودة إلا إلى الدمار والجوس خلال الديار، قال تعالى: {فَإِنَّمَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوُّوا فِي جُوْهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرَا} [الإسراء: ٧]، وهو سبحانه الذي توعدهم بأن يعود عليهم بالعقوبة والنكال على أيدي الرجال كلما عادوا إلى الفساد والعناد فقال عز من قائل: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ

لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإِسْرَاء: ٨].

قد تكون نهاية الكيان الصهيوني لا تزال آجلاً، لكن بداية العودة الصحيحة لمحابيهم ومجاهديهم تبدو – بتقرير الأبعد لها – قريبة عاجلة، فاللهم نصرك الذي وعدت بجندك الذين أيدت.

المصادر:

مجلة البيان